

م.م ميسم عبد الحسن حيدر

المرحلة الرابعة / فقه اللغة

maysam.abdulhasan@uomustansiriyah.edu.iq

اثر الارتجال في تنمية اللغة العربية

الارتجال من مظاهر تنمية اللغة العربية وهو قدرة العربي على ان يأتي بكلمة موافقة لاصول العربية وهو سمة من سمات العربي المسلح بسلاح التراث العربي.

الارتجال لغة : تناول الشيء بغير كلفة ، قالوا ترجلت البئر اي نزلتها من غير ان أدلى .وهو اسرع من البديهة والرؤية بعدهما.

اما اصطلاحا : فهو ايراد الكلام قائما مستقيما بغير تردد، وارتجل الكلام اي أتى به من غير رؤية ولا فكر ، وارتجل اي انفرد به من غير مشورة.

وكان الارتجال سائدا في تراث الادب العربي ، وكان العرب الاوائل اصحاب سليقة وارتجال .من ذلك ما جاء في قول الجاحظ : (فأن رأيت الاسماع تصغي له والعيون تحدج اليه ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله) ، فتحدج هو القلب المكاني للفظ (دحج) العامية، كما في حدق و حدق .

وذهب الدكتور ابراهيم انيس الى ان الكلمات المستعارة اغلبها من اللغات واللهجات ، كما في كلمة (جبر) التي تعني الرجل و السيد وصاحب النفوذ في العبرية والسريانية والارامية.

فالعرب ترتجل الفاظ لها اصول في اللغة ؛ اذ ان اللغة ظاهرة اجتماعية وكانن حي في الوقت نفسه ، ولم تأت الالفاظ المرتجلة عن فراغ ، وهذا مانجده حينما نتتبع تطور اللفظة العربية عن طريق دراسة اللغات القديمة واللهجات العربية في اثناء مراجعة كتب علماء اللغة والاثار.

كان للدكتور ابراهيم انيس نظرة في الارتجال ، فكان يرى انه لايجوز ارتجال كلاما غير موافق لاصول وقواعد اللغة .والذي يبدو ان الارتجال ظاهرة من ظواهر نمو اللغة ، بشرط ان تؤخذ من اصحاب الاحتجاج الذين يحتج بلغتهم او مابعد عصور الاحتجاج بشرط ان يعرض كلام المتكلم على المجامع اللغوية ، وان يكون المتكلم ذا ثقافة واسعة في اللغة .

ومن ذلك ما جاء في شعر الجواهري :

فيا شمسي اذا غابت حياتي
نشدتك ضارعا الا تغامي

فاشتق الفعل (تغامي) من الغيم .

واشتق (يضبون) بمعنى يصطادون الضب ، ومنه قول الاصمعي :

سمعت غير واحد من العرب يقول خرجنا نصطاد المضبة ، أي نصيد الضباب ، جمعوها على (مفعلة) كما يقال للشيوخ مشيخة .

واشتق (تداء) من الداء بمعنى تصاب بالداء او المرض فقال :

او قيل كيف الحُبِّ قَلْبُ _____
لنتُ بأن تُدَاءَ فما تُشافي

واشتق (استقعر) من القعر بمعنى صار قعرا، فقال :

تطاول القاعُ حتى استقعرت قممٌ
واستأسد الغيُّ حتى استنوقَ الرشد.

فالجواهري اشتق كلمات كثيرة في شعره كون لها اصل في اللغة ، ولم يأت بها من نفسه ، فالارتجال ليس بدعة في اللغة ، وانما جاء موافقا لظواهر اللغة من مجاز واشتقاق وترادف واشتراك وغيرها.

ومن الضروري معرفة اصل الكلمة المرتجلة واثرها على المعنى المراد ، وبعدها تعرض على المعجمات العربية ، وهذا يفتح بابا واسعا لتنمية اللغة ، زيادة على انها تكشف لنا تأريخ اللفظة العربية وتطورها على مدى العصور ، وربط اللهجات القديمة واللهجات الحديثة . والعرب لم ترتجل الالفاظ اعتباطا منها وانما كان لها اصول في اللغة ، ومن ثم قعد اللغويون قواعد لها . فالارتجال ظاهرة مهمة في اللغة ، بشرط ان تؤخذ ممن يحتج بلغتهم ، او من العلماء والكتاب والشعراء الذين يشهد لهم بثقافتهم اللغوية كما في شعر الجواهري ، او ان كلامهم يعرض على المجامع اللغوية كي يتحقق منه ، لا ان يترك من دون مراجعة ؛ فاللغة العربية ليست فوضوية فلها اصولها وقواعدها ، فهي حية مع وجود كتابه عز و جل ، وتتطور مع مرور الزمن ؛ لان لها اركانها تستند اليها ، وهي الاشتقاق والاشتراك اللفظي والاضداد ...

وكذلك يكشف لنا الارتجال تأريخ اللفظة العربية وتطورها على مدى العصور ، وربط اللهجات القديمة باللهجات الحديثة ، فضلا عن معرفة اللفظ المهمل والمستعمل عند الشعراء والكتاب في اثناء عرض كلامهم على المعجمات العربية.

وبهذا يعد الارتجال ذا قيمة لغوية في اثراء الدرس اللغوي ، ، اذ باستطاعة الشاعر والكااتب المبدع والمتمكن من اللغة ان يرتجل الفاظا يستطيع في انائها ربط اللغة الفصيحة باللهجات العامية المتداولة بشرط الا تؤثر في اصل اللغة .